خطبة صلاة الجمعة 23/ 4/ 2021 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(الصدقة برهان –2–)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (103) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (104) وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: 103 – 105].

أخرج الإمام أحمد عن سمرة بن جندب، وعمران بن حصين رضي الله عنهما قالا: ما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة إلا أمرنا بالصدقة.

أيها الإخوة:

هذه هي الخطبة الثانية في سلسلة خطب رمضان الموسومة بـ (**الصدقة برهان**)، وهذا العنوان مأخوذ من حديث النبي صلى الله عليه وسلم.

أخرج الإمام مسلم عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**الطُّهور شَطْرُ الإيمان، والحمدُ لله تملأُ الميزان، وسبحانَ الله والحمد لله تملآن – أو تملأ – ما بين السموات والأرض، والصلاةُ نور، والصدقةُ بُرْهَان، والصبرُ ضِياء، والقرآنُ حُجَّة لكَ أو عليكَ، كلُّ الناس يغدو، فبائع نَفْسَهُ فمعتقُها، أو مُوبِقها**» [أخرجه مسلم].

الصدقة: ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة، وأما قوله الصدقة برهان فقد قال ابن رجب: (البرهان: هو الشعاع الذي يلي وجه الشمس، ومنه سميت الحجة القاطعة برهاناً، لوضوح دَلالاتها على ما دلت عليه، فكذلك الصدقة برهان على صحة الإيمان... وطيبُ النفس بها علامة على وجود حلاوة الإيمان وطعمه، وسبب هذا أن المال تحبه النفوس وتبخل به، فإذا سمحت بإخراجه لله عز وجل دل ذلك على صحة إيمانها بالله ووعده ووعيده).

قال الإمام النووي: (هذا حديث عظيم أصل من أصول الإسلام قد اشتمل على مهمات من قواعد الإسلام... ثم قال: والصدقة برهان معناه يُفْزَعُ إليها كما يفزع إلى البراهين كأن العبد إذا سئل يوم القيامة عن مصرف ماله كانت صدقاته براهين في جواب هذا السؤال فيقول تصدقت بكذا وكذا، قال ويجوز أن يوسم المتصدق بسيماء يعرف بها فيكون برهاناً له على حاله ولا يسأل عن مصرف ماله).

ذهبت -أيها الإخوة- أجمعُ مادة الصدقات فوجدت حديث النبي صلى الله عليه وسلم عامراً بالحض على الصدقة وبفضل الصدقة وبآداب الصدقة وبأنواع الصدقة وبأحكام الصدقة وبغير ذلك، فلم أجد خيراً من أقرأ عليكم في كل خطبة من هذه الخطب طائفة من هذه الأحاديث مع شيء من التعليق على بعضها.

جاء في كتاب جامع الأصول الذي جمع فيه مؤلفه ابن الأثير الجزري الكتب الستة البخاري ومسلم وأبا داوود والترمذي والنسائي والموطأ.

قال ابن الأثير: (الكتاب الخامس: في الصدقة، وفيه فصلان:

الفصل الأول: في الحث عليها وآدابها

أخرج أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: «يا رسول الله، أيُّ الصدقةِ أفضلُ؟ قال: **«جُهدُ المُقِلِّ، وابدَأْ بمن تعُول»** الجُهْد بالضم الوسع والطاقة، والمقِلُّ: الذي مالُه قليل، فهو يُعطي بقدر مالِه.

وفي الحديث دعوة للصدقة ولو كنت مقلاً، وقد كان الرجل في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتصدق بالكثير وكان غيره يتصدق بالقليل، ربما تصدق بصاع أو مد أو أقل أو أكثر، وإذا تصدق أحدكم فليبدأ بنفسه وبمن تجب عليه نفقتهم، من زوجة وولد ووالدين ثم الأقرب فالأقرب.

فما أنفقه الرجل على نفسه صدقة، وما أنفقه على أهله صدقة، وما أنفقه على رحمه صدقة، وما أنفقه على البعيدين صدقة، إن أنفق إيماناً واحتساباً.

أخرج أبو داود عن سعيد بن المسيب رحمه الله: أن سعدَ بنَ عبادةَ أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أيُّ الصدقةِ أفضلُ وأعجبُ إليك، قال: الماءُ»

ذكر المنذري في الترغيب والترهيب عَنْ عَلِيِّ بْنَ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ وَسَأَلَهُ رَجُلٌ: يا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قُرْحَةٌ خَرَجَتْ فِي رُكْبَتِي مُنْذُ سَبْعِ سِنِينَ، وَقَدْ عَالَجْتُ بِأَنْواعِ الْعِلَاجِ، وَسَأَلْتُ الْأَطِبَّاءَ فَلَمْ أَنْتَفِع بِهِ، فقَالَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ مَوْضِعًا يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَى الْمَاءِ فاحْفُرْ هُنَاكَ بِئرًا، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ تنْبُعَ هُنَاكَ عَيْنٌ، وَيُمْسِكُ عَنْكَ الدَّمُ، فَفَعَلَ الرَّجُلُ فَبَرِئَ. رواه الْبَيْهَقِيُّ وقَالَ: (وَفِي هَذَا الْمَعْنَى حِكَايَةُ قُرْحَةِ شَيْخِنَا الْحَاكِمِ أَبِي عَبْدِ اللهِ، فَإِنَّهُ قَرِحَ وَجْهُهُ، وَعَالَجَهُ بِأَنْواعِ الْمُعَالَجَةِ، فَلَمْ يَذْهَبْ، وَبَقِيَ فِيهِ قَرِيبًا مِنْ سَنَةٍ، فَسَأَلَ الْأُسْتاذَ الْإِمَامَ أَبَا عُثْمَانَ الصَّابُونِيَّ أَنْ يَدْعُو لَهُ فِي مَجْلِسِهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَدَعَا لَهُ، وَأَكْثَرَ النَّاسُ فِي التَّأْمِينِ، فَلَمَّا كَانَتِ الْجُمُعَةُ الْأُخْرَى أَلْقَتِ امْرَأَةٌ فِي الْمَجْلِسِ رُقْعَةً بِأَنَّهَا عَادَتْ إِلَى بَيْتِهَا، وَاجْتَهَدَتْ فِي الدُّعَاءِ لِلْحَاكِمِ أَبِي عَبْدِ اللهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَرَأَتْ فِي مَنَامِهَا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم كَأَنَّهُ يَقُولُ لَهَا: قُولُوا لِأَبِي عَبْدِ اللهِ: يُوسِّع الْمَاءَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَجِئْتُ بالرُّقْعَةِ إِلَى الْحَاكِمِ أَبِي عَبْدِ اللهِ فَأَمَرَ بِسِقَايَةِ الْمَاءِ بُنِيَتْ عَلَى بَابِ دَارِهِ، وَحِينَ فَرَغُوا مِنَ بِنَائِها، أَمَرَ بِصَبِّ الْمَاءِ فِيهَا وَطُرِحَ الْجَمَدَ فِي الْمَاءِ، وَأَخَذَ النَّاسُ فِي الشُّرْبِ فَمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُسْبُوعٌ حَتَّى ظَهَرَ الشِّفَاءُ، وَزَالَتْ تِلْكَ الْقُرُوحُ، وَعَادَ وَجْهُهُ إِلَى أَحْسَنِ مَا كَانَ، وَعَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ سِنِينَ).

وفي حديث الترمذي وأبي داود عَنْ أَبِي سَعِيْدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «أَيُّمَا مُؤْمِنٍ أَطْعَمَ مُؤْمِنًا عَلَى جُوعٍ أَطْعَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ، وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ سَقَى مُؤْمِنًا عَلَى ظَمَأ سَقَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ، وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ كَسَا مُؤْمِنًا عَلَى عُرْيٍ كَسَاهُ اللَّهُ مِنْ خُضْرِ الْجَنَّةِ».

وأخرج الإمام مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما نَقَصَ مال من صدقة – أو ما نقصتْ صدقة من مال – وما زاد اللهُ عبداً بعفْو إلا عزّاً، وما تواضَعَ عبد للهِ إلا رَفَعَهُ اللهُ».

وقد روى هذا الحديث الصحابي أبو كبشة الأنماري ولفظه: «ثلاث أُقْسِمُ عليهن، وأُحَدِّثُكم حديثاً فاحفظوه: ما نقص مالُ عبدٍ من صدقة، ولا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَة فصبر عليها إلا زاده الله بها عِزاً، ولا فتح عبدٌ بابَ مسألة إلا فتح الله عليه بها باب فقر»

وقد حدثني عدد منكم مراراً ورأينا هذا في أنفسنا وفيمن حولنا أنك لا تتصدق بصدقة إلا أخلف الله عليك وعوضك أضعافها.

وقد قرأت في مئات التراجم عمن كانوا كثيري الصدقات وقد ماتوا يوم ماتوا وإنهم لفي الثراء والغنى. وما ذلك إلا لمضاعفة الله أموالَهم وأجورَهم.

ومن أشهر ما جاء في ذلك ما ذكره ابن كثير في البداية والنهاية عن الزهري: تصدق سيدنا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه على عهد النبي صلى الله عليه وسلم بشطر ماله أربعة آلاف، ثم تصدق بأربعين ألفاً، ثم تصدق بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله، ثم حمل على خمسمائة راحلة في سبيل الله، وكان عامة ماله من التجارة، قال فكثر ماله حتى قدمت له يوماً سبعمائة راحلة تحمل البر وتحمل الدقيق والطعام، فجعلها كلها في سبيل الله.

ولا زال الله يبارك له في ماله، ولما حضرته الوفاة أوصى لكل رجل ممن بقي من أهل بدر بأربعمائة دينار- وكانوا مائة-، وأوصى لكل امرأة من أمهات المؤمنين بمبلغ كثير حتى كانت عائشة تقول سقاه الله من السلسبيل.

وأعتق خلقاً من مماليكه ثم ترك بعد ذلك كله مالاً جزيلاً، من ذلك ذهب قطع بالفئوس حتى مجلت أيدي الرجال.

وبعد أيها الإخوة:

هذه طائفة ثانية من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصدقة، ورمضان وقت الإقبال على الله وبذل المعروف وعون الملهوف، فكيف إذا كان الناس في أزمة وضائقة!

إنَّنا اليوم أحوج ما نكون إلى أن يبذل الواجد، وأن يستعفَّ القادر، وأن يعين بعضنا بعضاً.

عن الحسن البصري قال: لقد عهدت المسلمين وإنَّ الرَّجل فيهم يصبح يقول: يا أهلاه يا أهلاه، يتيمَكم يتيمَكم، يا أهلاه يا أهلاه، مسكينَكم مسكينَكم، يا أهلاه يا أهلاه، جارَكم جارَكم.

فاستوصوا بأنفسكم وأهليكم وجيرانِكم وسائر الناس خيراً. وحسبكم أن الذي يجازي على الصدقة رب العالمين، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف: 88].

والحمد لله رب العالمين